

البداية والنهاية

الشيخ الصالح ابو عمر المقدسي باي المدرسة التي بالسفح يقرأ بها القرآن العزيز وهو أخو الشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة وكان ابو عمر اسن منه لأنه ولد سنة ثمان وعشرين وخمسائة بقرية الساويا وقيل بجما عيل والشيخ أبو عمر ربي الشيخ موفق الدين وأحسن إليه وزوجه وكان يقوم بمصالحة فلما قدموا من الأرض المقدسة نزلوا بمسجد أبي صالح خارج باب شرقي ثم انتقلوا منه إلى السفح ليس به من العمارة شيء سوى دير الحوراني قال فليل لنا الصالحين نسبة إلى مسجد أبي صالح لا أنا صالحون وسميت هذه البقعة من ذلك الحين بالصالحية نسبة إلينا فقرأ الشيخ ابو عمر القرآن على رواية أبي عمرو وحفظ مختصر الخرقى في الفقه ثم إن أخاه موفق شرحه فيما بعد فكتب شرحه بيده وكتب تفسير البغوي والحلية لأبي نعيم والابانة لابن بطة وكتب مصاحف كثيرة بيده للناس ولأهله بلا اجرة وكان كثير العبادة والزهادة والتهجد ويصوم الدهر وكان لا يزال متبسما وكان يقرأ كل يوم سبعا بين الظهر والعصر ويصلي الضحى ثمانى ركعات يقرأ فيهن ألف مرة قل هو الله أحد وكان يزور مغارة الدم في كل يوم اثنين وخميس ويجمع في طريقه الشيخ فيعطيه الأرامل والمساكين ومهما تهيأ له من فتوح وغيره يؤثر به اهله والمساكين وكان متقللا في الملبس وربما مضت عليه مدة لا يلبس فيها سراويل ولا قميصا وكان يقطع من عمامته قطعا يتصدق بها او في تكميل كفن ميت وكان هو واخوه وابن خالهم الحافظ عبد الغنى واخوه الشيخ العماد لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل وغيرها وجاء الملك العادل يوما إلى ختمهم أي خصهم لزيارة ابي عمر وهو قائم يصلي فما قطع صلاته ولا اوجز فيها فجلس السلطان واستمر ابو عمر في صلاته ولم يتلفت اليه حتى قضى صلاته C والشيخ ابو عمر هو الذي شرع في بناء المسجد الجامع أولا بمال رجل فامي فنقد ما عنده وقد ارتفع البناء قامه فبعث صاحب إربل الملك المظفر كوكرى مالا فكمل به وولى خطابته الشيخ أبو عمر فكان يخطب به وعليه لباسه الضعيف وعليه أنوار الخشية والتقوى والخوف من الله D والمسك كيف خبأته طهر عليك وبان وكان المنبر الذي فيه يومئذ ثلاث مراقى والرابعة للجلوس كما كان المنبر النبوي وقد حكى أبو المظفر أنه حضر يوما عنده الجمعة وكان الشيخ عبد الله البوتاني حاضرا الجمعة أيضا عنده فلما انتهى في خطبته إلى الدعاء للسلطان قال اللهم اصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب فلما قال ذلك نهض الشيخ عبد الله البوتاني وأخذ نعليه وخرج من الجامع وترك صلاة الجمعة فلما فرغنا ذهبنا إلى البوتاني فقلت له ماذا نقت عليه في قوله فقال يقول لهذا الظالم العادل

لا صليت معه قال فبينما نحن في الحديث إذ أقبل الشيخ أبو عمر ومعه رغيف وخيارتان فكسر ذلك الرغيف وقال الصلاة ثم قال قال النبي ص